دور التنشئة الأسرية في الإبقاء على الذهنية العشائرية في ظل وجود ثقافة العروش داخل المجتمع

-دراسة ميدانية على الأسرة النايلية بمدينة الجلفة -

الأستاذة:خالدي هدى ياسمينة
الأستاذة:خالدي نجوى بنت الحدي
جامعة الجلفة

-ملخص:

رغم التغير الاجتماعي الذي مس المجتمعات والأفراد، والذي كان له الأثر الكبير على كل الأصعدة والمستويات، والتي تحولت بفضلها المجتمعات من المجتمعات البدوية إلى المجتمعات المتحضرة والمدنية، إلا أنه ومع ذلك ما زالنا نلمس الروح العشائرية عند بعض أفراد المجتمعات خاصة تلك التي مازالت تورث ما يسمى بالعروش، وفي دراستنا هذه سوف نتجه بالدراسة إلى تأثير التنشئة الاجتماعية على مدى توريثها لفكرة الذهنية العشائرية .

-مقدمة:

في ظل التغير الاجتماعي والقيمي الحاصل في المجتمعات نبحث للكشف عن مدى وجود الذهنية العشائرية كقيمة ثقافية داخل المجتمع النايلي في ظل وجود ثقافة العروشية ، وذلك بمعرفة أثر التنشئة الأسرية على مدى تواجدها سواء نحو المحافظة أو التغيير، ومنه كانت الإشكالية كالتالي:- ما هو دور التنشئة الأسرية التي يقوم بها الوالدان اليوم في الإبقاء على الذهنية العشائرية في ظل وجود ثقافة العروش داخل المجتمع النايلي ؟ وللإجابة على هذا السؤال صغنا الفرضية التالية:

- للتنشئة الأسرية التي يقوم بها الوالدان اليوم دور في الإبقاء على الذهنية العشائرية في ظل توريثها لثقافة العروشية للأبناء داخل المجتمع النايلي، لذلك ومن أجل توضيح أكثر قمنا بتحديد المفاهيم التي سنتطرق إليها في موضوع الدراسة وقسمناها إلى مفاهيم نسقية وأخرى إجرائية، بدءا بالمفهوم النسقي للعرش: لغويا المصدر جمع أعراش وعروش وعرشه، وعروش: ركن الشيء وقوامه، ويقال: ثل

عرشه، أي ذهب عزه، وهي أمره، ومن البيت سقفه، ومن القوم رئيسهم، وعرش الطائر عشه .[1]

أما سوسيولوجيا:العشيرة: يستخدم هذا المصطلح في الأنثروبولوجيا البريطانية ليشير إلى جماعة انحدار من خط واحد، وقد استخدمت الكلمة في الأصل للإشارة إلى انحدار خط الأم فقط، ويعتقد أعضاء العشيرة أنهم منحدرون عن جد واحد مشترك، من خلال خط الانحدار المتعارف عليه ثقافيا (سواء كان أمويا أو أبويا)، ويرى " **ميردوك** " **(Merdoch)** أن المحك الجوهري للعشيرة لديه هو أساس الانتماء إلى خط نسب واحد، كما يشير هذا المصطلح إلى جماعة قرابية منظمة، وقد تنقسم العشيرة إلى بدنات أو عشائر فرعية، ولخص " **راد كليف براون**" **Radclieff)** **Bown)** موقفه وقال أنه ينبغي أن يُستخدم هذا المصطلح فقط للإشارة إلى جماعة ذات نسب في خط واحد، حيث ينظر الأعضاء إلى بعضهم نظرة الأهل .[2]، غير أننا اعتمدنا مفهومنا الإجرائي للعرش في دراستنا بأن العرش هو بيان إلى ما يرجع أصل نسب الفرد، أي ما هو أصل قبيلته، ويُقال فلان من عرش" أولاد القويني "مثلا، ذلك يعني أنه جدهم الأكبر في شجرة الأنساب؛ وهي كالتالي: 01-أحمد بن يحي بن يحيى، 02-أخناثة، 03-أم لخوة، 04 -أم هاني، 05-أمحمد لمبارك، 06-الرقاد، 07-بو عبد الله ، 08-حركات، 09-خالد، 10-رابح، 11- رحمة، 12-زيان، 13-ساسي، 14-سليمان، 15-سي أحمد، 16-سي أمحمد، 17-طعبة، 18-عامر، 19-عيفة، 20-فرج، 21-لعور، 22-لغويني بن محمد 23-لغويني بن سالم، 24-يحي بن سالم[3] ؛ ونشير إلى أن كلمة أولاد تذكر قبل تسمية كل عرش وهي مرتبة ترتيبا أبجديا، كما أنه تتفرع فروع من العرش وتسمى "الرفقه"، ومثال ذلك عرش أولاد القويني تتفرع منه عدة رفق هي: أولاد الغربي، أولاد عربية، أولاد العارية، أولاد بورقبة، أولاد عمران، أولاد عثمان، أولاد عبد النبي، أولاد الصديق؛ وتندرج تحت هذه الفرق ألقاب العائلات حتى أن هناك الكثير من يعرفون عرش الفرد من مجرد معرفتهم لقب عائلته.

---

[1]: المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت ، ط21 ، 1973 ، ص 496.

[2]: الطنوبي محمد عمر ، التغير الاجتماعي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، 1995 ، ص 25.

[3]: بلحاج لمبارك، صور وخصايل من مجتمع أولاد نايل، مديرية الثقافة، الجلفة، 2007، ص14.

لقد بحثنا عن أثر عملية التنشئة الاجتماعية في توريث ثقافة العروش، وكان المفهوم النسقي للتنشئة الاجتماعية الذي أوردناه بأنها هي عملية التفاعل الاجتماعي التي من خلالها يتشرب الأفراد معايير الجماعة من عادات وتقاليد وقيم، فيكتسب شخصيته الاجتماعية التي تعكس ثقافة مجتمعه [4]، وهي العملية التي من خلالها يتم تحويل الطفل من مجرد مخلوق بيولوجي إلى كائن اجتماعي قادر على التكيف مع من حوله في المجتمع[5]، كذا تعرف بأنها مجموع العادات والتقاليد والقيم التي ينقلها الجيل الثالث "الأبناء" من الجيلين الأول والثاني "الأجداد والآباء".[6]، كما نقصد بعملية التنشئة الأسرية دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، والتنشئة الأسرية هي إكساب الطفل المعايير العامة التي تفرضها أنماط الثقافة العامة السائدة في المجتمع وتكسبه المعايير الخاصة بالأسرة التي تفرضها عليه وبذلك تكون الأسرة مؤسسة المجتمع الأساسية في الحفاظ عليه وعلى تراثه الثقافي والحضاري[7]تعتبر.

أهم وظيفة للأسرة حيث يكتسب الفرد داخلها الأفكار الأساسية والمهارات العقلية والمعايير، كما يتعلم الفرد حصيلة كبيرة من الاتجاهات والقيم الأساسية[8]، وهي كل ما ينقله الآباء لأبنائهم من قيم وأفكار داخل الأسرة التي تعرف من الناحية اللغوية وكما جاء في لسان العرب بأنها مشتقة من الأسر والأسر لغة يعني القيد، الأسرة: الدرع الحصينة، الإسار: ما شد به، والإسار هو القيد، الأسرة عشيرة الرجل وأهله، ومنه اشتقت كلمة الأسرة فهي الدرع الحصين وهي أهل الرجل وعشيرته .[9]

ولأن دراستنا هذه تم إجراؤها في مجتمع أولاد نايل، فيجب أن نحدد المفهوم الإجرائي للمجتمع النايلي بأنه هو المجتمع الذي يتشكل من مجموع أسر نايلية، والأسرة يُنسب فيها الأبناء للأب وذلك في قوله تعالى:" واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق"

---

[4] : رشوان حسين أحمد، التربية والمجتمع دراسة في علم اجتماع التربية، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، 2002، ص170.

[5] : سعد إسماعيل علي، الاتجاهات الحديثة في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 171.

[6] : عبد الهادي نبيل، علم الاجتماع التربوي، دار اليازوري، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص128.

[7] مصباح عامر، التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ الثانوية، شركة دار الأمة للطباعة،الجزائر،2003، ط1،ص81.

[8]: خاطر أحمد، الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1992، ص 394.

[9] : بوخلوف محمد «نمط الأسرة الجزائرية و محدداته دراسة إحصائية و تحليل نظري»،سلسلة الوصل التغيرات الأسرية و التغيرات الاجتماعية ، فعاليات الملتقى الثالث قسم علم الاجتماع جامعة الجزائر، ج1، العدد2 ، 2006 ، ص74.

فالآية الكريمة تنسب الأولاد إلى آدم وليس إلى حواء [10]، وهي على ذلك الأسرة التي يرجع نسب الأب فيها وبالتالي الأبناء إلى "محمد بن عبد الله الخرشفي " الملقب بـ "سيدي نايل" ، ويُعرفون بانتمائهم للعروش الكبرى **الـ24** المكونة والمنتمية لسيدي نايل؛ كما أننا حددناها في بحثنا هذا بالأسرة النايلية المتواجدة في منطقة الجلفة، وبما أننا نتساءل عن ما هو دور التنشئة الأسرية التي يقوم بها الوالدان اليوم في الإبقاء على الذهنية العشائرية في ظل وجود ثقافة العروش داخل المجتمع النايليز

من المهم تحديد مفهوم للذهنية العشائرية بأنها هي تلك الروح التي تحمل في طياتها فكرة العروش والنعرة القبلية، وهي تلك القيمة الروحية التي تكرس العصبية بغرسها، وتظهر آثارها في فكر وسلوك الأفراد، ولا تتولد الذهنية العشائرية بغرس قيمة العروش فقط بل وتتعدى ذلك إلى غرس قيمة الجهوية أيضا، ويذكر الأستاذ "عبد الغني مغربي" في كتابه "الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون" ما يلي :« ولقد ترجم مؤلفون هم في الواقع علماء اجتماعيون أكثر منهم إيديولوجيون العصبية بـ:"التضامن الاجتماعي، الالتحام القبلي، الروح العمومية، القرابة بالعصب، التضامن بالعصب، الذهنية العشائرية ،إلخ...؛ وكلمة العصبية هي كلمة عربية الأصل، مشتقة من لفظ "عصب" الذي يعني حرفيا : ربط ، تجمع ، شد ، أحاط ، اجتمع [11] ».

من جهته قدم "محمد عابد الجابري" تعريفا مبسطا لمفهوم العصبية بكونها رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطا مستمرا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة . [12]، ومن أجل الوصول إلى نتائج مستقاة من الميدان كان المنهج المستخدم في الدراسة هو المنهج الكمي الذي هو مجموعة من الإجراءات لقياس الظواهر [13]، فهو يهدف في الأساس إلى قياس الظاهرة موضوع الدراسة.

---

[10] : الخشاب مصطفى، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

[11]: مغربي عبد الغني، تر/ محمد بن دالي حسين، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، **ENAL**، الجزائر،1986، ص 145.

[12]: بلهواري فاطمة «التأصيل التاريخي لحركة الموحدين خلال القرن السادس هجري /الثاني عشر ميلادي» ، مجلة إنسانيات ، وهران ، الجزائر، العدد12 سبتمبر-ديسمبر2000، ص 51.

[13]: أنجرس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية ، تر: بوزيد صحراوي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص100.

أما نوع المعاينة في بحثنا هذا هي المعاينة غير الاحتمالية، وصنفها هو العينة القصدية، وتستلزم هذه الطريقة أن يتوفر للباحث الوحدات التي يرغب في اختيارها، وفي ضوء تلك المعرفة يقوم الباحث باختيار وحدات معينة يعتقد أنها تمثل المجتمع الأصلي تمثيلا صادقا [14]، وهي العينة التي يختارها الباحث عن قصد بسبب وجود دلائل أنها تمثل المجتمع الأصلي وذلك في ضوء بحوث سابقة أو خبرات سابقة [15]، والعينة التي اخترناها لتمثل لنا مجتمع البحث، قصدنا أن تتميز بالخصائص التالية :اخترنا الشباب الجامعي عند استعمالنا لأداة الاستبيان، وقد ركزنا على هذه الفئة كونها:الفئة التي تمثل الجيل الثالث أي الجيل الجديد، كما أن فئة الشباب هي أكثر الفئات المتأثرة بالتغير الاجتماعي بحكم أنها زامنته، كما أن الشباب يمثل الأبناء الذين يظهر فيهم أثر التنشئة الاجتماعية و التغير الاجتماعي ، فاخترنا الشباب الجامعي النايلي المتواجد في منطقة الجلفة كونها المنطقة التي تمثل مركز تواجد النوايل ، حيث يجب أن يكون أصل النشأة و السكن من بلدية الجلفة أو من البلديات الفرعية الداخلية، ويجب أن ينتمي الشاب إلى عرش من العروش الـ**24** المكونة لأولاد نايل، استبعدنا سكان المنطقة الذين هم من عروش غير العروش النايلية، رغم أنهم من القاطنين في المنطقة إلا أنهم لا يعتبرون من أفراد العينة.

أما عن التقنيات التي يستعين بها الباحث لجمع مختلف المعطيات والبيانات اللازمة للقيام بدراسته، ولقد استخدمنا في هذه الدراسة أداة الاستبيان وهو مجموعة من الأسئلة المكتوبة تشمل موضوعا معينا ويعبر فيها المجيب عن الأسئلة كتابيا[16]، ويرتكز على طرح سلسلة من الأسئلة على مجموعة من المستجوبين تكون في الغالب ممثلة لمجتمع إحصائي معين .[17]

لقد وزعنا 100 إستمارة على الشباب النايلي، ولقد أجريت الدراسة الميدانية في جامعة زيان عاشور بمدينة الجلفة ، حيث تحتل مدينة الجلفة 1.36% من

---

[14]:عبد الحفيظ إخلاص محمد، باهي مصطفى حسين، البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية، مركز الكتاب للنشر، 2000، ص139.

[15] : معتز سيد عبد الله، خليفة عبد اللطيف محمد، علم النفس الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، 2001، ص 108.

[16]: مزيان محمد ، مبادئ في البحث النفسي و التربوي ، دار الغرب ، ط1 ، الجزائر ، ص66.

[17]:كيفي ريمون، كمبنهود لوك فان، تر: يوسف الجباعي، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 ، 1997، ص226.

المساحة الكلية للوطن[18]، وتقع في قلب الهضاب العليا السهبية [19]جنوب جبال الأطلس التلي، وهي تبعد عن العاصمة الجزائر بمسافة **300**كم، يحدها من الشمال ولايتا المدية وتيسيمسيلت، ومن الجنوب ولايات ورقلة وغرداية والوادي، ومن الشرق ولايتا بسكرة والمسيلة، ومن الغرب ولايتي الأغواط وتيارت، تنقسم إلى 12 دائرة و36 بلدية ،أما عدد سكانها فهو 962.504 نسمة.[20]، لقد مكنتنا النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا الميدانية من إثبات الفرضية محل الدراسة إذ نستطيع أن نلمس أثر التنشئة الأسرية التي يقوم بها الوالدين في الإبقاء على الذهنية العشائرية في ظل توريثها لثقافة العروشية للأبناء داخل المجتمع النايلي، من خلال التأثير الذي نلحظه عند قيام الوالدين بتعريف أبناءهم لعرشهم، أو لخصائص عرشهم، أو عند تربية الآباء أبناءهم على طريقة معينة يتعاملون بها مع كل عرش، أو عند توريث الآباء لأبنائهم على الإيمان بوجود خصائص معينة في كل عرش، وأن كل فرد يتصف بصفات عرشه، أو عند تربية الآباء أبناءهم على ضرورة معرفة العرش الذي يتعاملون معه، أو على وجوب عدم التعامل مع عروش معينة بحجة مثل "أنهم ليسوا أهلا لذلك" أو "أن عرشنا في صراع مع عرشه"، من خلال وجود كل وجود مؤشرات من هذا النوع نستطيع فورا معرفة مدى مساهمة هذا النوع من التنشئة الأسرية على إيمان الأبناء أكثر فأكثر بقيمة العروش والتعامل على أساسها، ومن ثّم العمل على توريثها لأبنائهم أي للجيل اللاحق.

يبرز أثر واضح للتنشئة الأسرية التي تساهم عن طريق تربية الوالدين لأبنائهم على طريقة معينة يتعاملون بها مع كل عرش على رؤية المبحوث لضرورة بقاء فكرة العروش والعكس، فكلما لم ينشأ الأبناء على طريقة معينة يتعاملون بها مع كل عرش، كلما اتجهت إجاباتهم نحو أنه لا يجب بقاء فكرة العروش بالتفاعل على أساسها، بل بقاء هذه الفكرة دون التفاعل على أساسها، ومنه فبتحديد الآباء للأبناء طريقة معينة للتعامل مع كل عرش دون الآخر، يتشكل لدى الأبناء معرفة مليئة بالأفكار المسبقة عن ذلك العرش وبالتالي عن أفراده، ومنه تُبنى لديهم

---

[18]: نقلا عن إحصائيات مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية بولاية الجلفة .

[19] :Guenchouba (A) , Gestion urbaine de la ville de Djelfa contraintes et perspectives, mémoire de magistère spécialité journalisme scientifique , Blida, 2008 . Page 06.

[20]: مجلة الجلفة حاضنة الثقافة الأصيلة ، الثقافة الأصيلة ، مديرية النشر ، مديرية الثقافة بولاية الجلفة ، ص 05.

تصنيفات للعروش تُعبر عن تمثلاتهم الاجتماعية اتجاههم وتُحدد قيمة كل عرش كذا قيمة أفراده، والتي كان الوالدان فيها المصدر الرئيسي لهذا التمثل، ما يبين بكل وضوح أثر التنشئة الأسرية البارز في توريث قيمة العروش للأبناء أو لا .

إذا لعامل التنشئة الاجتماعية دور في توريث قيمة العروش أو لا، فنجد نسبة من المبحوثين أعطت التبرير بأنهم تربو على وجوب الأخذ بتلك الاعتبارات فقط لكنهم لا يعرفون أسباب الأخذ باعتبارات كهذه حيث أنهم لم يُخضعوا الأفكار التي تلقوها عند تربيتهم لما يسمى بالقطيعة التي من خلالها يتم إعمال العقل للتخلص من الأفكار والقيم التي كانت تبدو لنا صحيحة لشيوعها ورواجها في المجتمع، بينما هي ليست كذلك، فعند إخضاعها للتمحيص والنقد يظهر أنها أفكار مغلوطة ولم تكن تبدو صحيحة إلا لأنها كانت تُشكل ما يسمى بالحس المشترك الموجود لدى أفراد المجتمع قديما أين كان الجميع يُسَلِم بهذه القيمة المجتمعية الراسخة في قلب الثقافة، فكانت هنا كإجابات للمبحوثين التي تمثلها نسب متفرقة بأن هذه العروش هي عروش دونية، فهم يستشهدون بتاريخ العرش وأنه لا يصح أن يناسبوا بعض العروش اليوم، ذلك أنهم قديما كانوا خَدَمًا عند عرشهم، فحفاظا على صفاء العرش والسلالة.

بما أن عرشهم كان يمثل عرش الأسياد، والعرش الآخر كانوا عبيدا عندهم، حدد عرش الأشراف عروشا معينة أي تلك التي قالوا بأنها كانت تخدمهم "لا نأخذ منها ولا نعطي لها" يعني في مسألة النسب، وهذه نظرة طبقية تؤمن بوجود أفضلية عروش على حساب أخرى، وتجزئ المجتمع الواحد والعرش الواحد لطبقات، وكثيرا ما نجد مثل هذه الأفكار سائدة ما بين أبناء العرش الواحد ضد فِرَقْ من نفس العرش، كما أنه قد حصلت أحداث قديما ما سبب معاداة بين العروش، ومنذ ذلك اليوم قرر كبار العروش للطرفين بأنه لا يجب أن نأخذ من تلك العروش أو نعطي لها.

نجد في سبيل هذا الكثير من الحكايات التي أُلفت في هذا المضمار، من أن هناك من تزوجوا من عرشين متعاديين فأصابتهم المصائب وعمَّت على كل بني عرشهم، وتم توارث مثل هذه الحكايات عن العروش وورثوها بغرض ترسيخ فكرة القطيعة والعداء بين تلك العروش، كما أُلفت الكثير من الحكايات لعروش نسبت لنفسها السيادة ووضعت نفسها موضع الشرف لتورث النظرة الطبقية التميزية التفاضلية في العروش من أجل أن لا يُتعامل معها، ورسخت مثل هذه الحكايات

وغيرها في المخيال الاجتماعي للمجتمع، وأصبح يُنظر إليها كروايات وأساطير عن تلك العروش يتناقلونها ويروونها فيما بينهم، وللتنشئة الاجتماعية دور فعال سواء نحو ترسيخ مثل هذه الأفكار أو تفنيدها.

نجد بأنه مازال هناك أفضلية للعروش عن بعضها ومازال هذا التصنيف معمول به في المجتمع، ما يلاحظ من خلال أن الفرد يُسأل عن عرشه قبل التعامل معه، ومن ثم يؤخذ بعرشه إن كان ممدوحا أو مذموما في خصائصه بين أفراد المجتمع، ومن ثم على أساس تقييم الفرد لعرشه يتم سؤاله عن معرفته لأفراد ينتمون لهذا العرش من خلال لقبه وهكذا...، كما تظهر أيضا أفضلية العروش عند نعت الفرد له باسم عرشه سواء في الحكايات أو معه في حالة حدوث شجار معه، ومن خلال هذه الرموز المعبر عنها أثناء التفاعلات، يُكَوِن الأفراد صورة وتمثلا سواء إيجابيا أو سلبيا عن العروش، ومنه ترتيب لأفضلية العروش عن غيرها سواء بالمدح أو الذم، وعبرت نسبة معتبرة أنه ليست هناك أفضلية للعروش عن بعضها وهذا التصنيف لم يعد معمول به في المجتمع، ذلك أنهم في تفاعلاتهم لم يتعرضوا لمواقف تبين لهم أفضلية عروش على حساب أخرى .

نستنتج أن الأكثرية من الأبناء الشباب أجابوا بأنهم ليس لديهم عرش مفضل، فكل عرش " فيه وعليه " أي أن الصالح والطالح موجود في كل عرش، وذلك لا يرجع للعرش بقدر ما يرجع للأشخاص وخصائصهم، ذلك أنهم يعتبرون أن كل العروش سواء عندهم، ولا يوجد عرش أفضل من الآخر، فلكل عرش ميزاته وخصائصه وشهرته في أوساط المجتمع، فلا اعتبارات ولا تفاضل في قضية العروش، حيث أنهم كلهم مفضلون، ذلك أن قضية العروش تسبب نوعا ما الفتنة، وتولد مجتمعا قبليا، في مقابل نسبة من المبحوثين حددت أن هناك عرش معين وذكرت ذلك، لكن لم يوجد اتفاق على عرش معين، كل مبحوث منهم ذكر عرش على حسب تمثله حوله من خلال تفاعله مع أبناء ذلك العرش وعلى حسب تجربته الشخصية معه، وهناك نسبة من المبحوثين ذكروا أن العرش المفضل لديهم هو عرش "أولاد نايل " وهو العرش الأم للعروش المكونة له، لأنه العرش الذي يجمع كل العروش في نظرهم، من باب ألا تكون هناك تفرقة وتمييز بين العروش.

للتخلص من تلك الرؤية التفاضلية لأحدها عن الآخر، ودعوة منهم للتوحد في إطار قالب يجمعهم جميعا، ويوحدهم دون إعارة اعتبارات لفكرة العروش، لأنهم يرون أن كل العروش سواء ولا يوجد عرش أفضل من الآخر، فلكل عرش ميزاته

وخصائصه وشهرته في أوساط المجتمع، فلا اعتبارات ولا تفاضل في قضية العروش فيما بينها، فنجد إجابات متفرقة مثل العرش المفضل في مجتمعي هو "الحرش" ذلك أن عنده السلطة والمال، وأجاب آخرون أنه عرش "سي حمد بن سالم " ذلك لأنهم يمثلون العروبة ويعرفون الأصول، بينما ذكر آخرون عرش " أم هاني " لتواضعهم وطيبتهم، وأجاب آخرون " أولاد فرج " لاتصافهم بالصفاء والنية، وآخرون ذكروا عرش "أولاد القويني" لأنه عرش الكرسي والطبسي أي القوة والجاه، وذكر آخرون عرش "أولاد عيسى" للتماسك أو التضامن الاجتماعي الموجود بينهم، وآخرون ذكروا عرش "أولاد سي أحمد" لكثرة مالهم أي المادة، المهم أنه لم يتم الإجماع على عرش محدد له الأفضلية في المجتمعز

فكل مبحوث أعطى تمثله عن العرش المفضل من خلال تفاعله معه أي تجربته الشخصية معه، أو من خلال ما كونه عليه من تمثل جراء سماع ما يشاع عليه من أفراد المجتمع، أو من خلال تقييم أفضل العروش بالتقييم المادي، أي أن النظرة المادية هي التي تحدد أفضل العروش، فيصبح أفضلها هو العرش الذي يملك أكبر قدر من المال والقوة والسلطة والجاه، أو نجد نظرة تُرجع أفضل العروش لأكثرها عددا وتماسكا، وغيرها من التصنيفات التي على أساسها يوضع كل عرش في رأس الهرم أثناء ترتيب العروش .

حتى أن النسبة الكبرى من المبحوثين لا يعرفون إن كان عرشهم في صراع مع عرش آخر، فأجابوا أنهم لم يورثوا أسماء عروش معينة هي في صراع مع عرشهم، فحتى التنشئة الاجتماعية لم تساهم في نقل مثل هذه المعلومات لأبنائها، ولا أبناء عرشهم عرفوهم بها، ولا حتى أثناء تفاعلهم في المجتمع سمعوا بهذه المعلومات عن إذا كان عرشهم في صراع مع عرش آخر، ما يعني أن قيمة تصارع العروش لم تعد من القيم الرائجة، وحتى إن كان عرشهم في صراع مع عرش آخر نجد أن نسبة من المبحوثين أجابوا بأنهم يتعاملون مع العرش الذي هو في صراع مع عرشهم، حيث أنهم أجابوا أثناء مقابلتنا لهم بأن مثل هذه الأمور لا يجب أن نولي لها القدر الكبير من الاهتمام، حيث أننا لا ندرك إن كانت حقا حصلت صراعات، وإن كانت حصلت حقا فاليوم أصبحت من الماضي.

ليس من الضروري التذكير دائما بتلك العداوة القديمة، التي فرقت بين عرشين ووضعت حدودا في التعامل معها، وهذه الإجابة إنما هي رغبة من المبحوثين في طي صفحة خلافات الماضي، وعدم إعادة نقل مثل هذه المعلومات ولا التذكير بها

في أي حال من الأحوال، في مقابل نسبة ضئيلة من المبحوثين أجابوا بأنهم لا يتعاملون مع العرش الذي كان في صراع مع عرشهم لأن عرشينا في صراع، وهذا تأكيد من الشباب و إبقاء على موروث الأسلاف في هذا المجال، وتكريس منهم أكبر لهذه الفكرة التي تقضي بوجوب عدم التعامل مع العروش المتصارعة فيما بينها، أي أن قيم الماضي في هذا المجال هي التي حددت قيم الحاضر بالنسبة لهم.

رأي المبحوثين كان باتجاه أن قيمة العروش هي سلاح ذو حدين، على حسب طريقة توظيفه، إن كان توظيفه في الجانب الإيجابي يتحقق تماسك وقوة المجتمع، وإن كان توظيفه في الجانب السلبي تحدث صراعات لأتفه الأسباب، فهي في نظرهم تبقى مجرد وسيلة يتعرفون من خلالها على أصولهم وجذورهم لا غير، إذا فهي برأيهم تصلح كخاصية وتراث أكثر منها قيمة يُعمل على أساسها، وهذه النظرة هي نظرة وسطية تدعو لعدم البقاء في قوقعة العروش والانكماش عليها فقط ، بل بالتفتح على الآخر أي ليس باتجاه التعقيد والتقوقع على العروش بعضهم البعض، فنتوارثها من باب معرفة أصولنا فقط، لكي لا تؤثر سلبيا على شبكة العلاقات الاجتماعية للأفراد المجتمع مع بعضهم هذا من جهة، وعلى المجتمعات الأخرى سواء كانت مجتمعات مصغرة داخل المجتمع الأم أو مجتمعات كبرى أخرى، في مقابل نسبة أجابت بأنه يجب التخلص نهائيا من فكرة العروش، وأخيرا نسبة من المبحوثين يؤمنون بأنه يجب أن تبقى وتُورث فكرة العروش، لأنها تمثل في نظرهم الموروث الثقافي الذي يمثل ميراث الأجداد، ما يعني عنصر من عناصر ثقافة المجتمع الذي يجب ترسيخه، لذا فمن الواجب إبقاؤه لأنه يمثل خصوصية المجتمع التاريخية والثقافية.

هنا نجد أن تعامل المبحوث لا يختلف مع أبناء العرش عن غيرهم، ذلك أن التعامل قد يختلف مع الأفراد لا مع العروش، والمهم هو الشخص في حد ذاته، وليس مهما صفة عرشه بقدر ما هو مهم صفاته كشخص، حيث أجابوا بأننا كلنا إخوة وتجمعنا البشرية، وهذا ما تربينا عليه، فكلنا متشابهين ولا أهمية للعروش، فأصلنا جميعا أننا كلنا أبناء آدم وحواء، هذا من الجانب الإنساني، وهناك من برر تعامله على هذا الأساس من جانب إتباعه لتعاليم الدين الإسلامي، حيث استدلوا بأحاديث الرسول التي تقول بأنه لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، وتلك التي حض فيها على ترك العصبية للقبيلة بأن قال دعوها فإنها منتنة، إذا هي قيمة مصدرها الدين، فالمبحوثون يتبعون الدين الإسلامي التي تساوي بين جميع الناس

ظهر ذلك جليا بإجابات المبحوثين عندما برروا بأن تعاملهم لا يختلف من عرش لآخر، فأجابوا " لأننا مسلمين "، " لأننا أمة محمد صلى الله عليه وسلم"، كما أن هناك من أجاب من المبحوثين بنظرة عقلية فذكر أن فكرة العروش هذه ما هي إلا فكرة استعمارية خلقها المستعمر، تهدف للتجزئة العرقية، من أجل التفرقة بين الناس، وخلق النظرة التميزية والعنصرية، وخلق طبقات في المجتمع على أساس أفضلية العروش، من هنا أجاب المبحوث بضرورة استخدام العقل للتميز بين الأفكار الصحيحة والأفكار المغلوطة.

في مقابل نسبة من المبحوثين أجابوا بأن تعامل المبحوث يختلف مع أبناء العرش عن غيرهم، حيث أنهم يملكون نظرة تفضيلية على أن أولاد عرشهم يفضلونهم لأنهم أكثر اشتراكا لنفس الخصائص وأكثر قربا من ناحية تقارب الأفكار، وعلاقاتهم تتسم بأنها أكثر تماسكا وقوة من علاقاتهم مع غيرهم من العروش، ذلك لأنهم يعتبرونهم من الأهل كونهم من نفس العرش، وذلك بعبارات يستخدمونها مثل "إنهم إخوتي" أو "أنت ابن (ة)عمي"، فلهم الأولوية والخصوصية حتى في التعاملات، كما أنهم يؤمنون بفكرة وجود خصائص مميزة في أوساط العروش فيقولون بأن لكل عرش مركزه ولكل معاملته الخاصة .

نجد أن المبحوثين أجابوا بأنهم لا يؤمنون بوجود خصائص وصفات معينة في كل عرش، لأنهم لا يريدون أن يقعوا في خطأ التعميم، فالصالح و الطالح من الصفات موجود في كل العروش، وليس من العدل نسب صفات معينة لعروش دون الأخرى، حيث أن هذه الصفات لا تعود إلى خصائص العرش، بل تعود إلى صفات معينة يتصف بها كل شخص، أي إلى الخصائص النفسية التي تصنع شخصية كل فرد فتكسبه شخصيته التي يتميز به، في مقابل نسبة من المبحوثين أجابوا بأنهم يؤمنون بوجود خصائص وصفات معينة في كل عرش، صفات مثل الاستعلاء والتكبر والعنصرية والطيبة والكرم والتدين، وغير ذلك من الصفات التي شاع أنه يختص بها عروش عن غيرهم، وهناك من المبحوثين من ذكروا إيمانهم بوجود خصائص معينة في كل عرش لكنهم تحفظوا عن ذكر هاته العروش وما تتصف به .

فمن جهة يسعى الشباب لإنتاج قيم جديدة، ولكن في المقابل تعمل التنشئة الاجتماعية على توريث النظرة الطبقية التميزية التفاضلية في العروش والتي ساعدت في ترسيخ مثل هذه الحكايات وغيرها في المخيال الاجتماعي للمجتمع، إن قيمة العروشية أو فكرة العروش هي موجودة واقعا للتفاعلات الاجتماعية التي تتم

على أساسها، ومنه فإنه يُعاد إنتاجها كقيمة معنوية بفضل دور التنشئة الأسرية – عن طريق الوالدين-، إلا أننا نرى أن الشباب يسعى لأن ينتج قيمة جديدة للعروش بعدم التفاعل الاجتماعي على أساسها.

ولعل ذلك يرجع إلى عوامل منها ارتفاع مستواهم التعليمي وازدياد وعيهم وإدراكهم و إيمانهم بالقيمة الدينية الإسلامية باعتبارها قيمة أشد درجة في سلم القيم من قيمة العروش الموروثة، كما أنه في نظر الأبناء الشباب لم تعد الاعتبارات على أساس العرش مطروحة عندهم بل أصبح هناك تحلي بالتقييم الذي له مرجعية دينية، كذا التقييم الموضوعي الخالي من المسلمات الثقافية المجتمعية المسبقة، لأنها تعتبر في نظر الشباب أفكار "رجعية" ترجع بالمجتمع للوراء، ولا تقدم له شيئا سوى أن تبقيه مجتمعا مغلقا، فعن طريق وعيهم بضرورة عدم الأخذ بمثل تلك المسائل لإدراكهم لحجم الضرر الذي تورثه سواء على صعيد الفرد ثم على صعيد المجتمع الفرعي كذا على صعيد المجتمع الأم.

اتجه الأبناء الشباب إلى أنهم أخضعوا الأفكار التي تلقوها عند تربيتهم لما يسمى بالقطيعة التي من خلالها يتم إعمال العقل للتخلص من الأفكار والقيم التي كانت تبدو لنا صحيحة لشيوعها ورواجها في المجتمع بينما هي ليست كذلك، فعند إخضاعها للتمحيص والنقد يظهر أنها أفكار مغلوطة ولم تكن تبدو صحيحة إلا لأنها كانت تُشكل ما يسمى بالحس المشترك الموجود لدى أفراد المجتمع قديما أين كان الجميع يُسَلِم بهذه القيمة المجتمعية الراسخة في قلب الثقافة، وأكد الشباب بأنهم لا يؤمنون بأفكار كهذه، لأنهم بمجرد الوقوف عليها يتضح جليا أن هناك قيم أشد منها تحض على عكس ذلك و هي أيضا راسخة في قلب الثقافة، وهي قيم الممارسة الدينية أو بالأحرى الإسلامية من حيث أن شرائعها تعارض قطعيا تلك الأفكار كموجه للسلوك يسلك على أساسه، فالممارسات الدينية هي عنصر يشكل عناصر الثقافة المجتمعية.

ومنه، نستنتج أنه تلاشى الحكم بمرجعية عروشية، وهي نظرة عقلانية بها الشباب أرجعوا بها الأولوية للمرجعية الموضوعية، وليس الحكم بالروح القبلية، خاصة فيما يتعلق بالأولوية في التوظيف أين ساد التعامل على أساس قيم شخصية، فأصبحت ثقافة داخل التنظيمات، لذا يرون أنه يجب الرقي في التقييم على أساس موضوعي علمي بحت حيث أنه من المفروض أن الجميع يعيش في مجتمع مدني يعطي لكل حقه، وليس في مجتمع عروش يحمل في طياته الذهنية

العشائرية، ويعطيها لعروش على حساب أخرى وإلا سيصبح المجتمع مجتمع تحكمه الذهنية العشائرية، لأنه يسير بحكم العروش والقبائل، ومنه إعادة بناء نمط أنواع المجتمعات القديمة عوض بناء مجتمع مدني يحكمه قانون الحق وليس قانون العرش.

ذكر الأبناء الشباب أن فكرة العروش هذه ما هي إلا فكرة استعمارية خلقها المستعمر تهدف للتجزئة العرقية، من أجل التفرقة بين الناس، وخلق النظرة التميزية والعنصرية بخلق طبقات في المجتمع على أساس أفضلية العروش، من هنا أجابوا بضرورة استخدام العقل للتمييز بين الأفكار الصحيحة والأفكار المغلوطة وللتخلص من تلك الرؤية التفاضلية لأحدها عن الآخر، ودعوة منهم للتوحد في إطار قالب يجمعهم جميعا ويوحدهم دون إعارة اعتبارات لفكرة العروش، فلا اعتبارات ولا تفاضل في قضية العروش فيما بينها، وهي العملية التي خلقت لهم ذلك الوعي والإدراك الذي ساعدهم على إنتاج قيم ثقافية جديدة فيما يخص قيمة العروش، بدل تلك التي قد تربوا عليها ووصلتهم عن طريق التنشئة الأسرية.

القيم الدينية الإسلامية كما رأى الشباب هي الفيصل القاطع الذي يجب الأخذ به كعقيدة بها قيم للإيمان بها والالتزام بها كمُوجِه للسلوك يسلكون على أساس ذلك بعدم تكوين بناء نظري كاف من خلال مصدر الإشاعات للتعامل وفقه في المستقبل الأمر الذي يُبرز في نظرهم عدم وعي في هذا الصدد وأخذ واضح للأفكار السائدة وعدم تعريضها لقطيعة لمعرفة مدى صحتها، ثم إنه يعبر عن عدم إدراك الشباب لضرورة تمحيص ونقد -من حيث إلصاق صورة نمطية تعبر عن كل عرش- لخطورتها على المجتمع بأكمله، فتجدهم غير مدركين لأهمية تحديد موقف محدد من فكرة الإيمان بوجود خصائص وصفات معينة في كل عرش، أو من مصدر هذه الفكرة بالدرجة الأولى، ومنه السقوط في التعميم فيتجاوز بذلك الأحكام المسبقة والمعرفة الساذجة التي لم تخضع لأي قطيعة مع الإشاعات الرائجة.

يتجاوز اللاوعي بإعمال روح النقد، كذا بالتفتح الذهني الذي هو تصور طرق جديدة في التفكير غير تلك الأفكار الملقنة والمكتسبة فيتم بذلك تجاوز الأحكام المسبقة والابتعاد قدر الإمكان عن العفوية في التفكير، ومنه في الغالب لم تعد مطروحة فكرة التعامل مع عروش على حساب أخرى، لاعتبارات تبينها المرجعية الدينية والموضوعية للشباب، وعدم إيمان بكل ما أسموه خرافات الماضي والتقاليد البالية، فلم يعودوا يؤمنون بعد بالأفكار العروشية الشائع رواجها، ولم تعد قيمة

التعامل بالعرش قيمة عامة يعم شيوعها وانتشارها في المجتمع كله بل انحصر، ذلك لأنهم أقروا بأن الشخص لا يحتفظ بقيمة ما إلا لأنه يرى في وجودها فائدة ما بالنسبة له أو بالنسبة للآخرين، والتعامل على أساس قيمة العروش قيمة بدون فائدة، إذا فلا ضرورة للاحتفاظ بها، لأنها لا قيمة منفعية لها بل وحتى مضارها أكثر، من حيث أنها قيمة مسببة للصراعات والمشاكل.

-المراجع:

-مراجع المنهجية :

- أنجرس موريس ، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر : بوزيد صحراوي، دار القصبة، الجزائر، 2006.
- عبد الحفيظ إخلاص محمد، باهي مصطفى حسين، البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية، مركز الكتاب للنشر ، 2000.
- كيفي ريمون ، كمبنهود لوك فان ، تر: يوسف الجباعي ، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997

-المجلات :

- بلهواري فاطمة «التأصيل التاريخي لحركة الموحدين خلال القرن السادس هجري /الثاني عشر ميلادي» ، مجلة إنسانيات ، وهران ، الجزائر، العدد12 سبتمبر-ديسمبر2000.
- بومخلوف محمد « نمط الأسرة الجزائرية و محدداته دراسة إحصائية و تحليل نظري» ،سلسلة الوصل التغيرات الأسرية و التغيرات الاجتماعية ، فعاليات الملتقى الثالث قسم علم الاجتماع جامعة الجزائر، ج1، العدد2 ، 2006 .
- مجلة الجلفة حاضنة الثقافة الأصيلة ، مديرية النشر ، مديرية الثقافة بولاية الجلفة .
- نقلا عن إحصائيات مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية بولاية الجلفة .

-الرسائل الجامعية:باللغة الأجنبية:

These de magistère:

- Guenchouba (A) , Gestion urbaine de la ville de Djelfa contraintes et perspectives, mémoire de magistère spécialité journalisme scientifique, Blida, 2008.

-علم الاجتماع: -

-الخشاب مصطفى، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

-الطنوبي محمد عمر ، التغير الاجتماعي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، 1995

-بلحاج لمبارك ، صور و خصايل من مجتمع أولاد نايل ، مديرية الثقافة ، الجلفة ، 2007

-خاطر أحمد، الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1992.

-رشوان حسين أحمد ، التربية والمجتمع دراسة في علم اجتماع التربية ، المكتب العربي الحديث ، الاسكندرية ، 2002.

-سعد إسماعيل علي، الاتجاهات الحديثة في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006.

-عبد الهادي نبيل ، علم الاجتماع التربوي ، دار اليازوري ، عمان ، الأردن ،ط1 ، 2002

-مصباح عامر ،التنشئة الاجتماعية و السلوك ألانحرافي لتلميذ الثانوية، ، شركة دار الأمة للطباعة،الجزائر ،2003، ط1.

-مغربي عبد الغني، تر: محمد بن دالي حسين، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

-معتز سيد عبد الله، خليفة عبد اللطيف محمد، علم النفس الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، 2001.

-مزيان محمد ، مبادئ في البحث النفسي و التربوي ، دار الغرب ، ط1 ، الجزائر.